المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره , ونعوذ بالله من شرور أنفسنا , وسيئات أعمالنا , من يهده الله فلا مظل له , ومن يضلل فلا هادى له , وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له , وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . { ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون }

{ ياأيُها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً }

{ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذُنُوبكُم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً } .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ,وأحسن الهدى هدى محمد , وشر الأمور محدثاتها , وكل محدثة بدعة , وكل بدعة ضلالة , وكل ضلالة فى النار .

فهذه رسالة توجيهات ووصايا للنساء , جمعتها من كلام ربنا عز وجل , وكلام سيد المرسلين ومن سار على دربه من الصحابة الكرام , والعلماء العاملين .

وضعتها بين يديك عسى أن تكون عوناً لك في درب طاعة رب الأرض والسموات وتجنبت فيها الحديث الضعيف , ففى الحديث غُنية وكفاية , وكذلك الآثار السلفية تحريت فيها الصحة بإذن الله تعالى .

وحقيقة أنى لا أزعم أنى أكتفيت بكل الموضوعات فى هذه الرسالة , ولكن ما لا يُدرك كله لا يُترك كله , وعسى الله أن ييسر لنا رسالة أخرى نتم بها باقى الموضوعات هو ولى ذلك ونعم الوكيل .

والحمد لله رب العالمين

كتبه

محمد حامد محمد

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

توجيهات ووصايا للنساء

{ 1 } الإخلاص وإحضار النية فى جميع الأعمال والأقوال : قال تعالى : { وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين لهُ الدين حُنفاء ويُقيموا الصلاة ويُؤتوُا الزكاة وذلك دين القيمة } . وقال تعالى { قُل إن تُخفُوا ما فى صُدُوركُم أو تُبدُوهُ يعلمهُ الله ويعلمُ ما فى السموات وما فى الأرض واللهُ على كل شئ قدير} .

وعن أمير المؤمنين أبى حفص عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله يقول { إنما الأعمال بالنيات , وإنما لكل امرئ ما نوى , فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله , ومن كانت هجرته لدنيا يُصيبها , أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هجر إليه } قال الفضيل بن عياض : ترك العمل لأجل الناس رياء , والعمل لأجل الناس شرك , والإخلاص : أن يعافيك الله منهما .

وقال حذيفة المرعشى : الإخلاص : أن تستوى أفعال العبد فى الظاهر والباطن .

فمن شرط قبول العمل – أى عمل – أن يكون خالصاً لوجه الله – عز وجل – لا حظ للنفس أو للهوى أو للخلق فيه نصيب , فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : { قال الله : أنا أغنى الشركاء عن الشرك , فمن عمل لى عملاً أشرك فيه غيرى فأنا منه برئ وهو للذى أشرك } , ولذلك قال مطرف بن عبد الله : صلاح القلب بصلاح العمل , وصلاح العمل بصلاح النية .

وبالنية ينال المرئ العمل وثوابه وإن لم يعمله ,فعن أبى الدرداء رضى الله عنه يُبلغُ به النبى قال { من أتى فراشه وهو ينوى أن يقوم يصلى من الليل فغلبته عيناه حتى أصبح كُتب له ما نوى , وكان نومه صدقة عليه من ربه } قال ابن المبارك : رُب عمل صغير تُعظمه النية , ورُب عمل كبير تُصغره النية , بل ربما حبط العمل كله , وأُمر به فسحب على وجهه فى نار جهنم – والعياذ بالله - .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله يقول { أنا أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه : رجل استُشهد , فأُتى به فعرفه نعمته فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلتُ فيك حتى استُشهدتُ : قال : كذبت ولكنك قاتلت لأن يُقال : هو جرئ , فقد قيل , ثم أُمر به فسسُحب على وجهه حتى أُلقى فى النار , ورجل تعلم العلم وعلمه , وقرأ القرآن , فأُتى به فعرفه نعمته فعرفها , قال فمن عملت فيها؟ قال : تعلمت العلم وعلمته , وقرأتُ فيك القرآن . قال : كذبت ولكنك تعلمت ليُقال : عالم, وقرأت ليُقال : هو قارئ فقد قيل , ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى أُلقى فى النار . ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله , فأُتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركتُ من سبيل تُحبُ أن يُنفق فيها لك إلا أنفقتُ فيها لك . قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال : هو جواد فقد قيل , ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى أُلقى فى النار .

فهذه الأعمال من أفضل الأعمال الصالحة , ولكن لما كانت غير خالصة لوجه الله تبارك وتعالى كان صاحبها من أهل النار والعياذ بالله , ولذلك كان السلف يخشون على أنفسهم الرياء خوفاً شديداً من ألا يُتقبل عمله .

قيل : إن أبا الحسن الماوردى لم يُظهر شيئاً من تصانيفه فى حياته , وجمعها فى موضع , فلما دنت وفاته قال لمن يثق به :

الكتب التى فى المكان الفلانى كلُها تصنيفى , وإنما لم أُظهرها , لأنى لم أجد نية خالصة , فإذا عاينتُ الموت , ووقعت فى النزع , فأجعل يدك فى يدى , فإن قبضتُ عليها وعصرتُها , فأعلم أنه لم يُقبل منى شئ منها , فاعمد إلى الكتب وألقها فى دجلة , وإن بسطتُ يدى , ولم أقبل على يدك , فأعلم أنها قد قُبلت , وأنى قد ظفرتُ بما كنت أرجوه من النية .

قال ذلك الشخص : فلما قارب الموت , وضعتُ يدى فى يده , فبسطها , ولم يقبض على يدى , فعلمتُ أنها علامة القبول , فأظهرتُ كتبه بعده هذا حال السلف , فكيف بحالنا ؟ !! ولا حول ولا قوة إلا بالله .

{ 2 } إتباع السنة وترك الابتداع

قال تعالى : { ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب } .

وقال تعالى { لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً } .

وقال تعالى : { فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً } .

وقال تعالى : { قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم } .

وكما قيل فى هذه الآية : زعم قوم محبة الله , فامتحنهم بهذه الآية , وقال سهل بن عبد الله : علامة حب الله حب القرآن , وعلامة حب القرآن حب النبى , وعلامة حب النبى حب السنة .

فكل من زعم محبة الله ومحبة رسوله دون أن يتمثل لأوامر الكتاب والسنة فهو مخدوع مغرور بزعمه هذا , إذ علامة الحب : الإتباع { فاتبعونى } .

وفى الصحيح : { عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضواً عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور , فإن كل بدعة ضلالة } .

ومحدثات الأمور هى : الأمور المحدثة فى الدين وليس لها أصل فى التشريع , كالاحتفال بالموالد , وعيد الأم , وشم النسيم , وعيد الميلاد , وعيد رأس السنة ... إلخ , فهذه الأمور كلها مذمومة .

فاتباع السنة كله خير وبركة وسبب لدخول الجنة , وترك السنة , والابتداع شر كله وسبب لدخول النار , فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله

 قال : { كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى . قيل : ومن يأبى يارسول الله ؟ قال : من أطاعنى دخل الجنة , ومن عصانى فقد أبى } .

فالسنة السنة رحمك الله , وإياك والابتداع .

وحتى يتسنى لك الوقوف على البدع ومضارها وأنواعها فى الدين ننصح بقراءة :

1- الإبداع فى مضار الإبتداع .

2- السنن والمبتدعات .

{ 3 } التوبة والاستغفار

قال تعالى : { وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون } .

وقال تعالى : { وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله وإن تولوا فإنى أخاف عليكم عذاب يوم كبير } .

وقال تعالى : { ياأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا اغفر لنا إنك على كل شئ قدير } .

وقال أهل العلم : التوبة واجبة من كل ذنب , فإن كانت المعصية بين العبد وربه تبارك وتعالى فلها ثلاث شروط : أحدهما : أن يقلع عن المعصية .

والثانى : أن يندم على ما فعلها .

والثالث : أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً .

فإن فقد أحد هذه الشروط الثلاثة لم تصح توبته , وإن كانت المعصية تتعلق بحق آدمى فشروطها أربعة , هذه الثلاثة – السابقة – وأن يبرأ من حق صاحبها , فإن كانت مالاً أو نحوه رده إليه , وإن كان حد قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه , وإن كانت غيبة استحله منها , ويجب أن يتود من جميع الذنوب , فلا يخلو إنسان من ذنب يصيبه , ولكن خير الناس المسارعين بالتوبة وبالاستغفار .

وعن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : { كل ابن آدم خطاء , وخير الخطائين التوابون } , وصاحب الذنب لا ييأس ولا يقنط من عفو الله ورحمته , فالله عز وجل يتوب عليه متى تاب سواء بالليل أو بالنهار .

عن أبى موسى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : { إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مُسئ النهار , ويبسط يده بالنهار ليتوب مسئ الليل , حتى تطلع الشمس من مغربها } .

ومهما تعاظم الذنب وكان كبيراً جليلاً فإن الله يغفره طالما توفرت فيه شروط التوبة , مع صدق النية فى هذه التوبة .

فعن عمران بن الحصين رضى الله عنه أن امرأة من جُهينة أتت رسول الله ﷺ وهى حبلى من الزنى , فقالت : يارسول الله ﷺ ! أصبتُ حداً , فأقمه على , فدعى نبى الله ﷺ وليها , فقال : أحسنْ إليها , فإذا وضعت فأتنى بها , ففعل , فأمر بها النبى ﷺ فشُكت عليها ثيابها , ثم أمر بها فرجمت , ثم صلى عليها , فقال له عمر : تُصلى عليها يارسول الله وقد زنت ؟ ! , قال : { لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم , وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى } .

فهذه امرأة ارتكبت كبيرة من الكبائر وهى كبيرة : الزنا , ومع صدق توبتها قبل الله منها وصلى عليها رسول الله ﷺ .

وتُقبل توبة العبد مالم يغرغر – أى فى حالة النزع وخروج الروح على فراش الموت – فلا تقبل التوبة , فعن أبى عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب – رضى الله عنهما – عن النبى ﷺ قال : { إن الله عز وجل يقبل توبة العبد مالم يُغرغر } فهذا شرط أخر من شروط التوبة أن يتوب العبد قبل احتضاره , قبل وصول روحه إلى الحلقوم .

قال تعالى : { وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تُبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً } , والموت مجهول وزمنه غير معلوم , فلا ينبغى التسويف , فالعبد لا يعلم متى سيكون أجله , وهل يُختم له بخير أم بشر ؟ فالعاقل من سارع وبادر بالتوبة وكثرة الاستغفار , فله فى رسول ﷺ الأسوة الحسنة , فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : { والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة } .

وفى رواية عند مسلم { مائة مرة } , فهذا نبى الله ﷺ المغفور له ما قدم وما أخر , المعصوم يستغفر ويتوب مائة مرة , فكيف بحالنا نحن المقصرين المذنبين ؟ ! , فوالله إن لم يرحمنا ربنا برحمته هو فلا نجاة لنا , ولا حول ولا قوة إلا بالله .

هذا وليعلم أنه : لا صغيرة مع الإصرار , ولا كبيرة مع الاستغفار .

{ 4 } الصبر

قال تعالى : { ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين } .

وقال تعالى : { قُل ياعباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب } .

وقال تعالى : { ياأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين } . فالصبر هو حبس النفس عن الجزع , واللسان عن التشكى , والجوارح عن لطم الخدود , وشق الجيوب , ونحو ذلك .

هذا وليعلم أن الصبر مؤذن بالقوة والشجاعة والثبات والإيمان , والجزع عنوان الجبن والضعف والهلع والخسران .

وما نال من نال من خير الدنيا والآخرة إلا بالصبر , ولا حُرم من حرم إلا بفقده , قال تعالى { جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب } .

قال عبيد بن الأبرص :

صبر النفس عند كل مُلم إن فى الصبر حيلة المُحتال

لا تضيقن فى الأمور فقد تك شف غماؤها بغير احتيال

رُب ما تجزعُ النفوس من الأمـ ر له فرجة كحل العقال

وقال ابن المقفع : الصبر صبران , فاللئام أصبر أجساماً , والكرام أصبر نفوساً , وليس الصبر الممدوح صاحبه , أن يكون الرجل قوى الجسد على الكد والعمل , لأن هذا من صفات الحمير , ولكن أن يكون للنفس غلوباً , وللأمور متحملاً , ولجأشه عند الحفاظ مرتبطاً .

وللصبر مراتب أربع :

إحداهما : مرتبة الكمال : وهى مرتبة أولى العزائم , وهى الصبر لله وبالله , فيكون فى صبره مبتغياً وجه الله صابراً به , متبرئاً من حوله وقوته , وفهذا أقوى المراتب وأرفعها وأفضلها .

الثانية : أن لا يكون فيه لا هذا ولا هذا , فهو أخس المراتب , وأراداُ الخلق , فهو جدير بكل خُذلان وبكل حرمان .

والثالثة : مرتبة من فيه صبر بالله , وهو مستعين متوكل على حوله وقوته , ولكن صبره ليس لله , إذ ليس صبره فيما هو مراد الله الدينى منه , فلهذا يُنال مطلوبه , ولكن لا عاقبة له , وربما كانت عاقبته شر العواقب , وفى هذا المقام خفراء الكفار وأرباب الأحوال الشيطانية , فإن صبرهم بالله , لا لله ولا فى الله .

الرابعة : من فيه صبر لله , لكنه ضعيف النصيب من الصبر به , والتوكل عليه , والثقة به , فهذا له عاقبة حميدة , ولكنه ضعيف عاجز مخذول فى

كثير من مطالبه , لضعف نصيبه من { إياك نعبد وإياك نستعين } , فنصيبه من الله أقوى من نصيبه بالله , فهذا حال المؤمن الضعيف .

والصبر ثلاثة أنواع :

1- صبر على طاعة الله .

2- صبر عن المعصية .

3- صبر على البلاء والمصائب .

والصبر على البلاء – هو مقصودنا هنا – وهو بضاعة الصديقين , فإن ذلك شديد على النفس وذلك قال

{ أسالك من اليقين ما تُهون على به من مصائب الدنيا } , فهذا صبر مستنده حسن اليقين .

وفى الحديث عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله قال : { من يتصبر يُصبره الله , وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر } .

قال ابن حجر – رحمه الله - : {وأن الصبر أفضل ما يعطاه المرء لكون الجزاء عليه غير مقدر ولا محدود} أهـ . وعن أبى يحيى صهيب بن سنان رضى الله عنه قال : قال رسول الله : { عجباً لأمر المؤمن , إن أمره كله له خير , وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن , إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له , وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له } .

قال ابن سعدى – رحمه الله –: (الحالة الثانية : أن يحصل للعبد المكروه أو يفقد المحبوب , فيحدث له هماً وحزناً وقلقاً , فوظيفته الصبر لله , فلا يتسخط ولا يضجر ولا يشكو للمخلوق ما نزل به , بل تكون شكواه لخالقه , ومن كان فى الضراء صبوراً وفى السراء شكوراً لم يزل يغنم على ربه الثواب الجزيل , ويكتسب الذكر الجميل) أهـ .

وإليك قصة هذه المرأة , وهى أم سلمة زوجة أبى طلحة مات له ابن وهو خارج البيت , فقالت الزوجة لأهلها : لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه , فلما رجع قربت إليه عشاءً فأكل وشرب , ثم تزينت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك , فوقع بها , فلما أن رأت أنه قد شبع وأصاب منها , قالت : يا أبا طلحة ! أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهُم أن يمنعوهم ؟ قال : لا , فقالت : فاحتسب ابنك , فخرج فصلى مع النبى ثم أخبره بما كان منها , فقال رسول الله { لعل الله أن يبارك لكما فى ليلتكما } , فقال رجل من الأنصار : فرأيت لها تسعة أولاد كلهم قد حفظوا القرآن .

فهذه المرأة لم تهلع ولم تجزع كعادة النساء فى مثل هذه المواقف , ولكن تصبرت وتجلدت , فكان جزاء ذلك أن بارك الله فى ذريتهم , فمن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه , فرحم الله نساء السلف , وما أحوج نساءنا اليوم بالتشبه بهن .

{ 5 } الصدق

قال تعالى : { ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين } .

وقال تعالى : { طاعة وقول معروف فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم } .

والصدق من صفات أهل الإيمان والبر والإحسان , وهو من الصفات الموصلة للجنة إن شاء الله تعالى , فعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله : { عليكم بالصدق , فإن الصدق يهدى إلى البر , والبر يهدى إلى الجنة , وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً , وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور , والفجور يهدى إلى النار , وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً } .

وكذلك الكذب من صفات أهل النفاق , فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : { قال رسول الله : { آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب .. الحديث } .

والكذب ... كذب فليس هناك كذبة بيضاء وأخرى سوداء , وهكذا .

بل ورد التهديد والوعيد لمن يحدث الناس بالكذب ليضحكهم , كمثل من يقول النكت والطرائف الكاذبة , فعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : سمعت رسول الله يقول : { ويل للذى يحدث ليُضحك به القوم فيكذبُ , ويل له , ويل له } .

وليُعلم أن الصدق منجاة , ويُحكى أن ربعى بن خراش كان لا يكذب قط , وكان له ابنان عاصيان زمن الحجاج , فطلبهما , وقد اختفيا , فقيل للحجاج : إن أباهما لا يكذب قط , ولو أرسلت إليه , فسألته عنهما ؛ فأرسل إليه , فقال له : أين ابناك ؟ قال : هما فى البيت . قال : قد عفونا عنهما لصدقك .

وكما يعود فائدة الصدق على المرء نفسه , قد يتعدى للآخرين ويثمر فيهم . قال العالم الربانى الشيخ عبد القادر الكيلانى – رحمه الله تعالى - : بنيتُ أمرى – من حين ما نشأت – على الصدق , وذلك أنى خرجتُ من مكة إلى بغداد أطلب العلم , فأعطتنى أمى أربعين ديناراً أستعين بها على النفقة , وعاهدتنى على الصدق , فلما وصلنا أرض همدان , خرج علينا جماعة من اللصوص , فأخذوا القافلة , فمر واحد منهم , وقال لى : ما معك ؟ قلت : أربعين ديناراً , فظن أنى أهزأ به فتركنى فرآنى رجل آخر , فقال : ما معك ؟ فأخبرته بما معى , فأخذنى إلى كبيرهم , فسألنى , فأخبرته , فقال : ما حملك على الصدق ؟ .

قلت : عاهدتنى أمى على الصدق فأخاف أن أخون عهدها .

فأخذت الخشية رئيس اللصوص , فصاح ومزق ثيابه وقال : أنت تخاف أن تخون عهد أمك , وأنا لا أخاف أن أخون عهد الله ؟ ! .

ثم أمر برد ما أخذوه من القافلة , وقال : أنا تائب لله على يديك , فقال من معه : أنت كبيرنا فى قطع الطريق , وأنت اليوم كبيرنا فى التوبة , فتابوا جميعاً ببركة الصدق .

{ 6 } الخوف

قال تعالى : { وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد } .

وقال تعالى : { يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه } .

وقال تعالى : { ياأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد } .

وقال تعالى : { وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم } .

الخوف سوط الله , يقوم به الشاردين عن بابه , وهو سراج فى القلب , به يبصر ما فيه من الخير والشر , وما فارق الخوف قلباً إلا خرب , والناس على الطريق ما لم يُزل عنهم الخوف , فإذا زال عنهم الخوف ضلوا الطريق , وإذا سكن الخوف القلوب أحرق مواضع الشهوات منها , وطرد الدنيا عنها .

قال الفضيل : من خاف الله دله الخوف على كل خير .

والخوف على درجات وأنواع :

الدرجة الأولى : الخوف من العقوبة , وهو الخوف الذى يصح به الإيمان , وهو خوف العامة , وهو يتولد من تصديق الوعيد , وذكر الجناية , ومراقبة العاقبة , وهذا الخوف علامة صحة الإيمان , وترحله من القلب علامة ترحل الإيمان منه .

والدرجة الثانية : خوف المكر : فكم من مغبوط بحاله انعكس عليه الحال , ورجع من حسن المعاملة إلى قبيح الأعمال , فأصبح يقلب كفيه ويضرب باليمين على الشمال ! بينما بدر أحواله مستنير فى ليالى التمام , إذ أصابه الكسوف فدخل فى الظلام , فبدل بالأنس وحشة , وبالحضور غيبة , وبالإقبال إعراضاً , وبالتقريب إبعاداً , كما قيل :

أحسنت ظنك بالأيام إذا حسنت ولم تخف سوء ما يأتى به القدرُ
وسالمتك الليالى فاغتررت بها وعند صفو الليالى يحدثُ الكدرُ

وللسلف أحوال مع الخوف والخشية – والله ندر أن تجد مثلها الآن – , سُئلت فاطمة بنت عبد الملك زوجة عمر بن عبد العزيز – رضى الله عنه –

عن عبادة عمر , فقالت : والله ما كان بأكثر الناس صلاة , ولا أكثرهم صياماً , ولكن والله ما رأيت أحد أخوف لله من عمر , لقد كان يذكر الله فى فراشه , فينتفض انتفاض العصفور من شدة الخوف حتى نقول : لُيصبحن الناس , ولا خليفة لهم .

بكى محمد بن المنكدر ليلة فكثر بكاؤه حتى فزع أهله , فأرسلوا إلى أبى حازم , فجاء إليه فقال : ما الذى أبكاك ؟ قد رعت أهلك , قال : مرت بى آية من كتاب الله عز وجل { ولو أن للذين ظلموا ما فى الأرض جميعاً ومثله معه لا فتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون } . فبكى أبو حازم معه , فقال بعض أهله لأبى حازم : جئناك بك لتفرخ عنه فزدته .

وقال أبو بكر بن عياش :صليتُ خلف فضيل بن عياض صلاة المغرب , وإلى جانبى على ابنه , فقرأ الفضل { ألهاكم التكاثر } , فلما بلغ { لترون الجحيم } سقط على مغيشاً عليه , وبقى الفضيل لا يجاوز الآية , ثم صلى بنا صلاة خائف , قال : ثم رابطتُ علياً فلما أفاق إلا فى نصف الليل .

قال محمد بن ناجية : صليتُ خلف الفضيل , فقرأ { الحاقة } , فى الصبح , فلما بلغ إلى قوله {خذوه فغلوه} , غلبه البكاء فسقط ابنه على مغشياً عليه .

قال الخطيب : مات قبل أبيه بمدة , من آية سمعها تُقرأ , فغُشى عليه وتوفى فى الحال . يا الله ... ما أرق هذه الأفئدة وما أتقاها !! .

فاللهم رقق قلوبنا , واجعلنا نخشاك كأننا نراك , أنت ولى ذلك ونعم الوكيل .

{ 7 } البكاء من خشية الله

قال تعالى : { ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً } .

وقال تعالى : { أفمن هذا الحديث تعجبون } .

والبكاء علامة على صحة القلب وحياته , ولهذه القطرات جزاء موفور عند خالقها , فعن أنس رضى الله عنه أن النبى قال : { من ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله حتى يصيب الأرض من دموعه لم يُعذب يوم القيامة } . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله { لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع } .

وهذا رسول الله يُصلى ولصدره أزير كأزير الرحا من البكاء .

استشعر حلاوة القرآن وتدبر معانية فأثمر عنده هذا البكاء .

وهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه حفرت الدموع خطين أسودين فى وجهه .

من لم يبت والخوف حشو فؤاده   لم يدر كيف تُفتتُ الأكباد

وكان رضى الله عنه يمر بالآية من ورده بالليل فيمرض حتى يعوده الصحابة شهراً , وكان تحت عينى ابن عباس – رضى الله عنهما – مثل الشراك البالى من كثرة الدموع .

ولم رأت أم الربعى بن خُثيم ما يلقى الربعى من البكاء والسهر نادته فقالت : يابنى لعلك قتلت قتيلاً ؟ فقال : نعم ياوالدة , قتتلتُ قتيلاً , فقالت : ومن هذا القتيل يابنى نتحمل على أهله فيعفوك , والله لو علموا ما تلقى من البكاء والسهر لقد رحموك ؟ فيقول : يا والدتى , هى نفسى .

وأقسم الربيع بن خراش ألا تفتر أسنانه ضاحكاً حتى يعلم أين مصيره , فما ضحك إلا بعد موته , وأقسم أخوه ربعى بن خراش بعده ألا يضحك حتى يعلم أفى الجنة هو أو فى النار .

قال الحارث الغنوى : فلقد أخبرنى غاسله أنه لم يزل مبتسماً على سريره وكنا نغسله حتى فرغنا منه .

وهذا سيد البكائين (الحسن البصرى) كان إذا تكلم كأنه يعاين الآخرة فيخبر عن مشاهدتها , كان إذا بكى فكأن النار لم تخلق إلا له , وإذا قدم فكأنما قدم من دفن حميم له , وإذا جلس فكأنما هو أسير يستعد لضرب عنقه .

قال يونس بن عبيد : ما رأيت أحداً أطول حزناً من الحسن , كان يقول : نضحك ولعل الله قد اطلع على أعمالنا , فقال : لا أقبل منكم شيئاً .

قال الحسن : إن المؤمن يصبح حزيناً ويمسى حزيناً , ولا يسعه غير ذلك , لأنه بين مخافتين : بين ذنب قد مضى لا يدرى ما الله يصنع فيه , وبين أجل قد بقى لا يدرى ما يصيب فيه من المهالك .

وكان عطاء السليمى يبكى حتى خشى على عينيه , فأتى بطبيب يداوى عينه , قال : أداوى بشرط أن لا تبكى ثلاثة أيام فاستكره ذلك , وقال : لا حاجة لنا فيه .

وقال رحمة الله : بكيت على ذنب أربعين سنة , صدت حمامة وأنى أحمد الله إليكم , تصدقت بثمنها على المساكين . وبكى رحمة الله حتى عمش .

قال يوسف بن مسلم : بكى على بن بكار حتى عمى , كان قد أثرت الدموع فى خديه .

قال أبو النضر إسحاق بن إبراهيم : كنت أسمع وقع دموع سعيد بن عبد العزيز على الحصير فى الصلاة .

وقال أبو عبد الرحمن الأسدى : قلت لسعيد بن عبد العزيز : ما هذا البكاء الذى يعرض لك فى الصلاة ؟ فقال : يا ابن أخى , وما سؤالك عن ذلك ؟

قلت : لعل الله أن ينفعنى به , فقال : ما قمت إلى الصلاة إلا مثلت لى جهنم وقرئ عند يحيى البكاء { ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون } .

فصاح صيحة مكث منها مريضاً أربعة أشهر , يعاد من أطراف البصرة .

رحم الله سلفنا الصالح أصحاب الهمة والعلو فى العبادة والتدين , هذا حالهم , فكيف بنا نحن المقصرين المذنبين ؟

لم يبق خوفك لى دمعاً ولا جلداً لا شك أنى بهذا ميت كمداً

عبد كئيب أتى بالعجز معترفاً وناره تحرق الأحشاء والكبدا

ضاقت مساكنه فى الأرض من وجل فهب له منك لطفاً إن لقيك غداً

{ 8 } بر الوالدين

قال تعالى : { واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً } .

وقال تعالى : { ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون } .

وقال تعالى : { وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً }

وقال تعالى : { ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله فى عامين أن أشكر لى ولوالديك إلى المصير } .

بر الوالدين ... وما أدراك ما بر الوالدين , أنه أحب الأعمال إلى الله . عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : سألت النبى : أى العمل أحب إلى الله تعالى ؟ قال : { الصلاة على وقتها , قلت : ثم أى ؟ قال : بر الوالدين , قلت : ثم أى ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله } .

بر الوالدين ... سبب دخول الجنة .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال { رغم أنف , ثم رغم أنف , ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر : أحدهما أو كلاهما فلم يدخل الجنة } .

بر الوالدين ... أفضل من الهجرة مع النبى .

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : جاء رجل إلى رسول الله فقال : جئت أبايعك على الهجرة وتركت أبوى يبكيان , فقال { ارجع إليهما , فأضحكهما كما أبكيتُهما } .

بر الوالدين ... سبب فى زيارة الرزق وطول العمر :

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله : { من سرهُ أن يُمد له فى عمره ويُزاد فى رزقه فليبر والديه وليصل رحمه } .

بر الوالدين ... سبب فى رضا الله عنك .

عن عبد الله بن عمرو – رضى الله عنهما – قال : قال رسول الله : { رضا الله فى رضا الوالدين , وسُخطُ الله فى سُخط الوالد } .

قال ابن عمر لرجل : أتخاف النار أن تدخلها , وتُحب الجنة أن تدخلها ؟ قال : نعم , قال بر أمك , فوالله لئن ألنت لها الكلام , وأطعمتها الطعام , لتدخلن الجنة ما اجتنبت الموجبات .

وروى عن عمر : أن رجلاً قال : قتلتُ نفساً , قال : أمك حية ؟ قال : لا , قال : فأبوك ؟ قال : نعم . قال : فُبر وأحسن إليه . ثم قال عمر : لو كانت أمه حية فبرها وأحسن إليها , رجوت أن لا تطعمه النار أبداً }

وكان زين العابدين كثير البر بأمه حتى قيل له : إنك أبر الناس بأمك , ولسنا نراك تأكل معهما فى صفحة ! , فقال : أخاف أن تسبق يدى إلى ما سبقت إليه عينها فأكون قد عققتُها .

قال المأمون : لم أر أحداً أبر من الفضل بن يحيى بأبيه , بلغ من بره به أن يحيى كان لا يتوضأ إلا بماء مسخن وهما فى السجن , فمنعهما السجان من إدخال الحطب فى ليلة باردة , فقال الفضل حين أخذ يحيى مضجعه إلى قُمقُم كان يسخن فيه الماء , فملأه ثم أدناه من نار المصباح , فلم يزل قائماً وهو فى يده حتى أصبح .

قيل لعمر بن ذر : كيف كان بر ابنك بك ؟ .

قال : ما مشيتُ نهاراً قط إلا مشى خلفى , ولا ليلاً إلا مشى أمامى , ولا رقى سطحاً وأنا تحته فوا أسفا على حال الآباء مع أبائهم وأمهاتهم , فى هذا العصر الذى سمعنا فيه من يركض أمه بقدميه , ويطرد أباه من البيت من أجل زوجته !!! فهل هؤلاء ممن قال الله تعالى فى كتابه : { وبالوالدين إحساناً } .

{ 9 } حق الزوج

قال تعالى : { الرجال قوامُون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً }

وهذه من آكد الحقوق , فقد أوجب الله تبارك وتعالى على الزوجة أن تطيع زوجها إذا أمرها بما ليس فيه معصية , وأن تسره إذا نظر إليها , وأن تحفظه فى ماله وعرضه , فلا تنفق شيئاً إلا بإذنه , ولا تُدخل أحداً فى بيته إلا برضاه , ,أن تتعاون معه على السراء والضراء , وتصون سره , وتحسن عشرته , وتخلص له الود , وتصدقه الحديث , وتحب من يحب وما يحب , وتتقى ما لا يبغيه وما يحرجه ما استطعت إلى ذلك سبيلاً .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله : { إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح }

فما بالك بمن لها فراش خاص فى غرفة مستقلة عن زوجها , لأن هذا من مظاهر التحضر والتمدن ؟! .

فيما أمة الله ! إن كنت تقدرين على لعنة الملائكة وغضب الرب تبارك وتعالى فهنيئاً لك هذا التحضر وهذا التمدن , وحتى تعلمى أهمية رضا الزوج عنك تأملى حديث أم سلمة رضى الله عنها حيث قالت : { قال رسول الله : { أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة }

ومن المعلوم أن السجود لا ينبغى إلا لله تبارك وتعالى , ولكن لمكانة الزوج قال : { لو كنتُ آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها } .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى قال : { لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين : لا تُؤذيه قاتلك الله , فإنما هو عندك دخيل , يُوشك أن يفارقك إلينا }

سُئل أعرابى عن النساء , وكان ذا تجربة وعلم بهن , فقال : أفضل النساء أطولهن إذا قامت , وأعظمهن إذا قعدت , وأصدقهن إذا قالت , التى إذا غضبت حلمت , وإذا ضحكت تبسمت , وإذا صنعت شيئاً جودت , التى تُطيع زوجها , وتلزم بيتها , العزيزة فى قومها , الذليلة فى نفسها , الودود الولود , وكل أمرها محمود

ولأن الحياة الزوجية حياة مودة ومحبة وأُلفة , فلا بد لها من عوامل تساعد على ذلك , وإليك هذه النصائح :

قال أبو الأسود لأبنته :

إياك والغيرة , فإنها مفتاح الطلاق .

وعليك بالزينة , وأزينُ الزينة الكحل .

وعليك بالطيب , وأطيب الطياب إسباغ الوضوء .

وكونى كما قلتُ لأمك فى بعض الأحايين :

خُذى العفو منى تستديمى مودتى   ولا تنطقى فى سورتى حين أغضبُ

فإنى وجدتُ الحب فى الصدر والأذى   إذا أجتمعا لم يلبث الحب يذهبُ

حُكى أن أسماء بنت خارجة قالت لابنتها فى ليلة زفافها :

يابُنية إنك خرجت من العُش الذى فيه درجت , فصرت إلى فراش لم تعرفيه , وقرين لم تألفيه , فكونى له أرضاً , يكن لك سماء , وكونى له مهاداً يكن لك عماداً , وكونى له أمة , يكن لك عبداً , واحفظى أنفه

وسمعه وعينه , فلا يشم منك إلا طيباً , ولا يسمع إلا حسناً , ولا ينظر إلا جميلاً .

وأخيراً تذكرى قول أبى الدرداء :

{ خير نسائكم التى تدخل قيساً , وتخرج ميساً , وتملأ بيتها أقطاً وحيساً , وشر نسائكم السلفعة , التى تسمع لأضراسها قعقعة , ولا تزال جارتها مفزعة }

قيساً : إذا مشت قاست بعض خطاها ببعض , فلم تعجل ولم تبطئ ز

الميس : التبختر والتثنى .

الأقط : الجبن .

الحيس : الطعام المتخذ من التمر والأقط والسمن .

السلفعة : البذيئة الفحاشة القليلة الحياء الجريئة على الرجال .

{ 10 } حق الجار

قال تعال : {واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً

وعن ابن عمر وعائشة رضى الله عنهما قالا : قال رسول الله : { ما زال جبريل يُوصينى بالجار حتى ظننتُ أنه سيوُرثه }

وعن عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما – قال رسول الله { خير الأصحاب عند الله تعالى خيرُهُم لصاحبه , وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره }

ومن حق الجار أن يأمن شر جاره , فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله قال : { والله لا يؤمن , والله لا يؤمن , والله لا يؤمن , قيل : من يا رسول الله ؟ قال : الذى لا يأمن جارُهُ بوائقه } , وفى رواية وزاد : قالوا يا رسول الله وما بوائقه ؟ قال : {شره}

ومن كمال الإيمان أن يحب للجار ما يحبه لنفسه , فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله : { والذى نفسى بيده لا يُؤمن عبد حتى يُحب لجاره أو لأخيه ما يُحب لنفسه }

ومن كمال الإيمان كذلك أن يحسن الجار إلى جاره , فعن أبى شُريح الخزاعى رضى الله عنه أن النبى قال : { من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُحسن إلى جاره , ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ... }

ومن الإحسان إلى الجار إعطاءه مما نطبخ ونأكل حتى لا يتأذى من رائحة الطعام , فعن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله : { يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك }

ومن الإحسان إلى الجار عدم تحقيره والتطاول عليه .

فعم أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله : { يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرس شاة }

والأذى للجار يحبط الأعمال الصالحة , فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رجل : يا رسول الله ! إن فلانة يُذكر من كثرة صلاتها وصدقتها وصيامها غير أنها تُؤذى جيرانها بلسانها . قال : هى فى النار , قال : يا رسول الله ! فإن فلانة يُذكر من قلة صيامها وصلاتها , وأنها تتصدق بالأثوار من الأقط , ولا تُؤذى جيرانها , قال : هى فى الجنة .

فالله الله فى الجار .

قال الحسن : ليس حُسنُ الجوار كف الأيدى , ولكن حُسن الجوار احتمال الأذى .

باع أبو الجهم العدوى داره بمائة ألف درهم , ثم قال : فبكم تشترون جوار سعد بن العاص ؟ , قالوا : وهل يُشترى جوار قط .

قال : ردوا على دارى , ثم خذوا مالكم , لا أدع جوار رجل إن قعدت سأل عنى , وإن رآنى رحب بى , وإن غبت حفظنى , وإن شهدت قربنى , وإن سألته قضى حاجتى , وإن لم أسأله بدأنى , وإن نابتنى جائحة فرج عنى .

فبلغ ذلك سعيداً , فبعث إليه بمائة ألف درهم .

{ 11 } التواضع

قال تعالى : { واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين }

وقال تعالى : { يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم }

وعن عياض بن حمار رضى الله عنه قال : قال رسول الله { إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد , ولا ينبغى أحد على أحد }

وفى حديث أبى هريرة : { ... وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله }

قال ابن عوف :

عجبتُ من مُعجب بصورته وكان من قبلُ نُطفة مذرة

وفى غد بعد حسن صورته يصيرُ فى الأرض جيفة قذرة

وهو على عُجبه ونخوته ما بين ثوبيه يحملُ العذرة

ويحكى أن مطرف بن عبد الله بن الشخير نظر إلى المهلب بن أبى صُفرة وعليه حُلة يسحبها ويمشى خيلاء . فقال : يا أبا عبد الله ! ما هذه المشية التى يبغضها الله ورسوله ؟

فقال المهلب : أما تعرفنى ؟

فقال : بل أعرفك , أولئك نطفة مذرة , وآخرك جيفة قذرة , وحشوك فيما بين ذلك بول وعذرة .

وقال أحنف بن قيس : عجبت لمن جرى فى مجرى البول مرتين كيف يتكبر ؟ ! .

فعجباً لمن يتكبر !! علام يتكبر ؟ !! .

{ 12 } قراءة القرآن

عن أبى أُمامة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله يقول : { اقرؤا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه } .

وعن عائشة – رضى الله عنهما – قالت : قال رسول الله : { الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة , والذى يقرأ القرآن ويتتعتعُ فيه وهو عليه شاق له أجران } .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله : { من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة , والحسنة بعشر أمثالها , لا أقول آلم حرف , ولكن ألف حرف , ولام حرف وميم حرف } .

فأى فضل هذا ؟ , وأى ثواب هذا ؟ فسبحان من يعطى على العمل القليل الثواب الجزيل , فأين مكانة القرآن فى قلوبنا ؟ , هل قرأناه ؟ هل تدبرناه ؟ , هل عملنا به , هل , هل ...

وهنا سؤال : كيف ننتفع بالقرآن ؟

والإجابة على هذا السؤال يُسديها لنا طبيب القلوب العلامة ابن القيم , فيقول : { إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه , وألف سمعك واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه , فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله , قال تعالى : { إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد } .

وذلك أن تمام التأثير لما كان موقوفاً على مؤثر مقتض , ومحل قابل , وشرط لحصول الأثر , وانتفاء المانع الذى يمنع منه , تضمنت الآية بيان ذلك كله بأواخر لفظ وأبينه , وأدله على المراد , فقوله تعالى : { إن فى ذلك لذكرى } إشارة إلى ما تقدم من أول السورة إلى ها هنا , وهذا هو المؤثر .

وقوله : { لمن كان له قلب } فهذا هو المحل القابل , والمراد به القلب الحى الذى يعقل عن الله , كما قال تعالى : { وما علمناه الشعر وما ينبغى له إن هو إلا ذكرى وقرآن مبين لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين } , أى حى القلب .

وقوله : { أو ألقى السمع } أى وجه سمعه وأصغى حاسة سمعه إلى ما يقال له , وهذا شرط التأثر بالكلام .

وقوله : { وهو شهيد } أى شاهد القلب حاضر غير غائب .

قال ابن قتيبة : { استمع كتاب الله وهو شاهد القلب والفهم , ليس بغافل ولا ساه } , وهو إشارة إلى المانع من حصول التأثير وهو سهو القلب , وغيبته عن تعقل ما يقال له , والنظر فيه وتأمله , فإذا حصل المؤثر وهو القرآن , والمحل القابل وهو القلب الحى , ووجد الشرط وهو الإصغاء , وانتفى المانع وهو اشتعال القلب وذهوله عن معنى الخطاب , وانصرافه عنه إلى شئ آخر , حصل الأثر وهو الانتفاع والتذكر } أ هـ .

فتلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترط فيه اللسان , والعقل والقلب , فحظ اللسان تصحيح الحروف , وحظ العقل تفسير المعنى , وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والإئتمار , فاللسان يُرتل , والعقل يُترجم , والقلب يتعظ .

{ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قُلُوبهم وكثير منهم فاسقون } .

{ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون } .

ولكن الأمر كما قال عثمان بن عفان رضى الله عنه : { لو طهُرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم } .

لله درك يا عثمان !!! وما أدرك ما عثمان .

قال عبد الرحمن التيمى : لأغلبن الليلة على المقام , قال : فلما صليتُ العتمة تخلصتُ إلى المقام حتى قمتُ فيه , فبينما أنا قائم إذا رجل وضع يده على كفتى , فإذا هو عثمان بن عفان فبدأ بأم القرآن , فقرأ حتى ختم القرآن فركع وسجد , ثم أخذ نعليه , فلا أدرى أصلى قبل ذلك شيئاً أم لا .

قال الحافظ ابن كثير : { وقد رُوى من غير وجه أنه صلى بالقرآن العظيم فى ركعة واحدة عند الحجر الأسود , أيام الحج , وقد كان هذا من دأبه رضى الله عنه , ولهذا روينا عن ابن عمر أنه قال فى قوله تعالى { أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هو يستوى الذين يعملون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب . , قال : هو عثمان بن عفان } أ هـ .

وليس فى ذلك غرابة .... قوم خلصوا فأخلص الله لهم وبارك فى أعمالهم ووقتهم .

قال النووى : { فمن الذى كانوا يختمون الختمة فى اليوم والليلة : عثمان بن عفان , وتميم الدارى , وسعيد بن جبير , ومجاهد , والشافعى , وآخرون } .

{ 13 } ذكر الله تعالى

قال تعالى : { ولذكر الله أكبر } .

وقال تعالى : { فاذكرونى أذكركم } .

وقال تعالى : { واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخفية ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين } .

وقال تعالى : { يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً } .

وقال تعالى : { فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون } .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله { كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان , حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده , سبحان الله العظيم } .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله : { لأن أقول : سبحان الله , والحمد لله , ولا إله إلا الله , والله أكبر أحب إلى مما طلعت عليه الشمس } . والآيات والأحاديث فى فضل الذكر والذاكرين كثيرة , ولكن أين الذاكرين ؟ , وكيف نذكر الله عز وجل ؟ .

يقول ابن القيم : { من الذاكرين من يبتدئ بذكر اللسان وإن كان على غفلة , ثم لا يزال فيه حتى يحضر قلبه فيتواطأ على الذكر , ومنهم من لا يرى ذلك ولا يبتدئ على غفلة بل يسكن حتى يحضر قلبه فيشرع فى الذكر بقلبه , فإذا قوى استتبع لسانه فتواطأ جميعاً , فالأول ينتقل الذكر من لسانه إلى قلبه , والثانى ينتقل من قلبه إلى لسانه , من غير أن يخلو قلبه منه , بل يسكن أولاً حتى يحس بظهور الناطق فيه , فإذا أحس بذلك نطق قلبه ثم انتقل النطق القلبي إلى الذكر اللسانى ثم يستغرق فى ذلك حتى يجد كل شئ منه ذاكراً , وأفضل الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلب اللسان وكان من الأذكار النبوية وشهد الذاكر معانيه ومقاصده } أ هـ .

ويقول – رحمه الله - : { والذكر الظاهر الجارى على اللسان , المطابق للقلب : إما ثناء , أو دعاء , أو رعاية .

وذكر الرعاية : فمثل قول الذاكر : الله معى , الله ناظر إلى , الله شاهدى , ونحو ذلك مما يستعمل لتقوية الحضور مع الله , وفيه رعاية لمصلحة القلب ولحفظ الأدب مع الله , والتحرز من الغفلة , والاعتصام من الشيطان والنفس .

والأذكار النبوية تجمع الأنواع الثلاثة , فإنها متضمنة للثناء على الله , والتعرض للدعاء والسؤال والتصريح به , كما فى الحديث { أفضل الدعاء الحمد لله } قيل للسفيان بن عيينة : كيف جعلها دعاء ؟ قال : أما سمعت قوله أمية بن الصلت لعبد الله بن جدعان يرجو نائله .

أأذكرُ حاجتى أم قد كفانى حياؤك إن شيمتك الحياءُ

إذا أثنى عليك المرءُ يوماً كفاه من تعرضه الثناءُ

فهذا مخلوق واكتفى من مخلوق بالثناء عليه من سؤاله , فكيف برب العالمين ؟

والأذكار النبوية متضمنة لكمال الرعاية , ومصلحة القلب , والتحرر من الغفلات والاعتصام من الوساوس والشيطان . والله أعلم } أ هـ .

{ فاذكرونى أذكركم } .

ليس العجب من قوله { فاذكرونى } إنما العجب من قوله : { أذكركم } .

ياهذا , حفرُ النهر إليك , وإجراء الماء ليس عليك , احضر ساقية { فاذكرونى } إلى جنب بحر { أذكركم } فإذا بالغ فيها معول الكد , فاضت عليك مياه البحر , { فبغى يسمع , وبى يُبصر } , ألق بذكر الفكر فى أرض الخلوة , واسق إليه من ماء الفكر , لعلها تُنبت لك شجرة { أنا جليس من ذكرنى } .

{ فاذكرونى } بالتذلل { أذكركم } بالتفضُل .

{ فاذكرونى } بالانكسار { أذكركم } بالمبار .

{ فاذكرونى } بتصفية السر { أذكركم } بتوفية البر .

{ فاذكرونى } بالرهبة { أذكركم } بتحقيق الرغبة .

{ فاذكرونى } بالتنصل { أذكركم } بالتفضل .

{ فاذكرونى } بصفاء السر { أذكركم } بخالص البر .

{ فاذكرونى } بالتعظيم { أذكركم } بالتكريم .

{ فاذكرونى } بترك الخطاء { أذكركم } بأنواع العطاء .

هذه ذكره فى دار الشقاء ... فكيف عند اللقاء .

هذه فى دار المحنة ... فكيف فى دار النعمة .

هذا وأنت على الباب ... فكيف إذا كُشف الحجاب ؟! .

وملأتُ كلى منك حتى لم أدع منى مكاناً خالياً لسواكاً

والقلب فيك هيامُهُ وغرامُهُ والروح لا تنفك عن ذكراكا

فيا ركائب الأرواح , جدى فى طلب هذه المنازل .

ويا نجائب القلوب , أسرعى إلى نيل هذه الدرجات .

وكان أبو مسلم الخولانى كثير الذكر , فرآه بعض الناس فأنكر حاله , فقال لأصحابه : أمجنون صاحبكم ؟! فسمعه أبو مسلم , فقال : لا يا أخى , ولكن هذا دواء المجنون .

وقد شرطتُ على قوم صحبتُهُم بأن قلبى لكم من دونهم غرض

ومن حديثى بكم قالوا به مرض فقلتُ لا أذهب الله عنى ذلك المرض

أمر الحجاج بصلب ما هان العبد , فرُفع على خشبة وهو يسبح ويهلل ويعقد بيده , حتى بلغ تسعاً وعشرين , فبقى شهراً بعد موته ويده على ذلك العقد مضمومة .

لتحشرن عظامى بعد ما بليت يوم الحساب وفيها حبكم علق

وكان خالد بن معدان يسبح كل يوم أربعين ألف تسبيحة , سوى ما يقرأ من القرآن , فلما مات وضُع على سريره ليغسل , فيجعل يشير بأصبعه يحركها بالتسبيح .

قال عبد العزيز بن أبى رواد : كانت عندنا امرأة بمكة تسبح كل يوم اثنتى عشرة ألف تسبيحة فماتت , فلما بلغت القبر اختُسلت من أيدى الرجال .

{ 14 } الدعاء

قال تعالى : { وقال ربكم ادعونى أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخلين } .

قال تعالى : { ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين } .

قال تعالى : { أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون } .

قال تعالى : { وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيبُ دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون } .

أيةُ رقة , وأى انعطاف !! وأية شفافية , وأى إيناس فوق هذا !! , ألفاظ رفافة شفافة تنير ... آية تسكب فى قلب المؤمن فى جناب رضى وقربى ندية , وملاذ أمين وقرار مكين , وهو يدعو سيد السادات الذى ليس له مثل ولا نظير .

ولو لم يكن فى الدعاء إلا رقبة القلب لكفى , قال تعالى : { فلولا إذ جاءهم بأسناً تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون } . , ولو لم يكن فى فضله إلا هذه الآية لكفى قال تعالى { قُل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاماً } .

قال رسول الله : { إن الله يقول : أنا عند ظن عبدى بى , وأنا معه إذا دعانى } .

وقال : { الدعاء هو العبادة } .

وقال : { الدعاء سلاح المؤمن , وعماد اليقين , نور السموات والأرض } .

وللدعاء آداب يجب المحافظة عليها رجاء القبول – إن شاء الله ومنها :

1- ترصد الأوقات الشريفة , كيوم عرفة من السنة , ورمضان من الأشهر , ويوم الجمعة من الأسبوع , ووقت السحر من ساعات الليل .

2- اغتنام الأحوال التى يُستجاب فيها الدعاء , كوقت التنزل الإلهى , وفى السجود , وعند الأذان , وبين الأذان والإقامة , وعند نزول المطر , وعند إقامة الصلاة , وآخر ساعة من نهار الجمعة , ودعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب , ودعوة المسافر والمظلوم , ودعوة الصائم .

3- أن يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه , وألا يتكلف السجع فى الدعاء , وأن يتضرع ويخشع عن الدعاء , قال تعالى : { فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين , ويخفض الصوت فإنه أعظم فى الأدب والتعظيم .

4- أن يفتح الدعاء بذكر الله والثناء عليه , وأن يختمه بالصلاة على رسول الله , فقد قال : { كل دعاء محجوب حتى يُصلى على النبى } .

5- أن يجزم به ويُوقن بالإجابة ويصدق رجاءه فيه , قال { ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة , واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه } .

6- أن يُلح فى الدعاء ويكرره ثلاثاً , قال ابن مسعود : كان عليه السلام إذا دعا دعا ثلاثاً , وإذا سأل سأل ثلاثاً .

7- أن يُعظم المسألة , قال : { إذا سأل أحدُكم فليكثر , فإنما يسأل ربه } .

8- الدعاء باسمه الأعظم الذى إذا دُعى به أجاب , عن بُريدة رضى الله عنه أن رسول الله سمع رجلاً يقول : {اللهم إنى أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يُولد ولم يكن له كفواً أحد . فقال : لقد سألت الله بالاسم الذى إذا سُئل به أعطى , وإذا دُعى به أجاب } .

9- الحرص على الدعاء بالأدعية الواردة فى القرآن الكريم .

كقوله تعالى : { وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم } .

و { لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين } .

و { ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار } .

و { ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إن هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب } .

و { الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار } .

و { ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين } .

و { رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دُعاء ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحسابُ } .

و { وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سُلطاناً نصيراً } .

و { والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً } .

10 – الحرص على الدعاء بما صح عن النبى والأدعية فى ذلك كثيرة , ويمكن الرجوع إلى : صحيح الكلام الطيب , الأذكار للنووى , صحيح كتاب الأذكار وضعيفه لسليم الهلالى .

{ 15 } الصلاة على رسول الله

قال تعالى : { إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً } .

قال القرطبى رحمه الله : { أمر الله تعالى عباده بالصلاة على نبيه محمد دون أنبيائه تشريفاً له ولا خلاف فى أن الصلاة عليه فرض فى العمر مرة , وفى كل حين من الواجبات وجوب السنن المؤكدة التى لا يسع تركها ولا يغفلها إلا من لا خير فيه } أ هـ .

قال : { من صلى على صلاة , صلى الله عليه عشراً } .

قال : { من صلى على صلاة , صلى الله عليه عشراً , وحُطت عنه عشر خطيئات , ورُفعت له عشر درجات } .

وقال : { إن أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على الصلاة } .

وقال : { ما من أحد يُسلم على إلا رد الله على روحى حتى أُرد عليه السلام } .

وقال : { رغم أنف رجل ذُكرتُ عنده فلم يُصل على ... الحديث } .

وقال : { أكثروا على الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة , فمن صلى على صلاة صلى الله عليه عشراً } .

وقال : { لا تجعلوا قبرى عيداً , وصلوا على , فإن صلاتكم تبلُغنى حيث كنتم } .

وعن أبى طلحة : { أن رسول الله جاء ذات يوم والبشرُ يُعرف فى وجهه , فقال : إنه جاءنى جبريل عليه السلام فقال : إن ربك يقول : أما يُرضيك يا محمد أن لا يًصلى عليك أحد من أمتك إلا صليتُ عليه عشراً , ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمتُ عليه عشراً } .

كيفية الصلاة على النبى :

عن أبى محمد كعب بن عُجرة رضى الله عنه قال : خرج علينا النبى فقلنا : يا رسول الله قد علمنا كيف نُسلم عليك فكيف نُصلى عليك ؟ قال : قالوا : (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد , كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد , اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد) . وعن أبى مسعود البدرى رضى الله عنه قال : أتانا رسول الله ونحن فى مجلس سعد بن عُبادة رضى الله عنه فقال له بشير بن سعد : أمرنا الله أن نُصلى عليك يا رسول الله فكيف نُصلى عليك ؟ فسكت رسول الله تمنيناً أنه لم يسأله ثم قال رسول الله : (قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم , وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد) .

وعن أبى حميد الساعدى رضى الله عنه قال : قالوا يا رسول الله كيف نصلى عليك ؟ قال : (قولوا : اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم , وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد) .

فوائد الصلاة على النبى :

1- امتثال أمر الله سبحانه وتعالى .
2- موافقته – سبحانه وتعالى – فى الصلاة عليه , وإن اختلفت الصلاتان , فصلاتنا عليه دعاء وسؤال , وصلاة الله تعالى عليه ثناء وتشريف .
3- موافقة ملائكته فيها .
4- حصول عشر صلوات من الله على المصلى مرة .
5- أنه يرفع له عشر درجات .
6- أنه يكتب له عشر درجات .
7- إنه يمحى له عشر درجات .
8- إنه يُرجى إجابة دعائه إذا ختم بها , فهى تصاعد الدعاء إلى رب العالمين , وكان موقوفاً بين السماء والأرض قبلها .

9- أنها سبب لشفاعته إذا قرنها بسؤال الوسيلة أو أفردها .
10- أنها سبب غفران الذنوب .
11- أنها سبب لكفاية الله العبد ما أهمه .
12- أنها سبب لقرب العبد منه يوم القيامة .
13- أنها تقوم مقاومة الصدقة لذوى العشرة .
14- أنها سبب لقضاء الحوائج .
15- أنها سبب لصلاة الله على المصلى وصلاة ملائكته عليه .
16- أنها زكاة المصلى وطهارة القلب .
17- أنها سبب لتبشير العبد بالجنة قبل موته .
18- أنها سبب للنجاة من أهوال يوم القيامة .
19- أنها سبب لرد النبى على المصلى والمسلم عليه .
20- أنها سبب لتذكر العبد ما نسيه .
21- أنها سبب لطيب المجلس , وأن لا يعود حسرة على أهله يوم القيامة .
22- أنها سبب لنفى الفقر .
23- أنها تنفى عن العبد اسم البخل إذا صلى عليه عند ذكره .
24- نجاته من الدعاء عليه برغم الأنف إذا ذكرها عند ذكره .
25- أنها تدل صاحبها على طريق الجنة وتخطئ بتاركها عن طريقها .
26- أنها تنجى من فتن المجلس الذى لا يذكر فيه الله ورسوله ويحمده ويثنى عليه فيه ويصلى على رسوله .
27- أنها سبب لتمام الكلام الذى أُبتدى بحمد الله والصلاة على رسوله .
28- أنها سبب لوفور نور العبد على الصراط .
29- أنه يخرج بها العبد عن الجفاء .
30- أنها سبب لإبقاء الله سبحانه الثناء الحسن للمصلى عليه بين أهل السماء والأرض .
31- أنها سبب للبركة فى ذات المصلى عليه وعمله وعمره وأسباب مصالحه .
32- أنها سبب لنيل رحمة الله .
33- أنها سبب لدوام حبته للرسول وزيادتها وتضاعفها .
34- إن الصلاة عليه سبب لمحبته للعبد وسبب لهدايته وحياة قلبه .

35- أنها سبب بعرض اسم المصلى عليه وذكره عنده كما قال : { إن صلاتكم معروضة على } .

36- أنها سبب لتثبيت القدم على الصراط والجواز عليه .

37- إن الصلاة عليه أداء لأقل القليل من حقه وشكر له نعمته التى أنعم الله بها علينا , مع أن الذى يستحقه من ذلك لا يحصى علماً ولا قدرة ولا إرادة .

38- أنها متضمنة لذكر الله – سبحانه وتعالى – ومعروفة إنعامه على عبيده بإرساله .

هذه هى أهم الثمار التى يجنيها المكثر من الصلاة والسلام على رسول الله وهى فوائد جليلة يجب أن يحرص عليها العاملون , وفى مثل ذلك فليتنافس المتنافسون .

{ 16 } المحافظة على الصلاة

قال تعالى : { حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين } .

وقال تعالى : { فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم } .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : { سألتُ رسول الله : أى الأعمال أفضل ؟ قال : (الصلاة على وقتها) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله قال : { الصلوات الخمس , والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن ما لم تُغش الكبائر } .

وعن رضى الله عنه قال : قال رسول الله : { إن أول ما يُحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته , فإن صلحت , فقد أفلح وأنجح , وإن فسدت , فقد خاب وخسر , فإن انتقض من فريضته شيئاً , قال الرب – عز وجل - : انظرو لعبدى من تطوع فيكملُ بها ما انتقض من الفريضة ؟ ثم تكون سائر أعماله على هذا .

إن الصلاة عماد الدين , وعصام اليقين , ورأس القربات , وغرة الطاعات , عمر الله بأنوارها قلوب العباد , بفتح الباب , ورفع الحجاب ورخص للعباد فى المناجاة بالصلوات , كيفما تقلبت بهم الحالات فى الجماعات والخلوات .

هى المعين الذى لا ينضب , والزاد الذى يزود القلب , إنها مفتاح الكنز الذى يغنى ويقنى ويفيض , إنها الروح والندى والضلال فى الهاجرة , إنها اللمسة الحانية للقلب المتعب , المكدود , إنها زاد الطريق ومدد الروح وجلاء القلب , إنها العبادة التى تفتح القلب , وتوثق الصلة وتيسر الأمر , وتشرق بالنور , وتفيض بالعزاء والسلوى والراحة والإطمئنان .

حين تستشعر القلوب رهبة الموقف فى الصلاة بين يدى الله , فتسكن وتخشع , ويسرى الخشوع منها إلى الجوارح والملامح والحركات , ويغشى الأرواح , أنوار الجلال فى حضرة الله , وتختفى من الأذهان جميع الشواغل , فلا تشتغل بغير ربها , وتستغرق فى الشعور به , وتشتغل بنجواه – يتوارى عن الحس كل ما حوله وكل ما به – فلا يتذوق العبد إلا معنى الوقوف فى تلك الحضرة القدسية , ومناجاة الذات العلية , فتجد الروح طريقها , ويعرف القلب الموحش مثواه .

بدأت صفات المؤمنين بالصلاة وختمت بالصلاة , لعظيم مكانها فى بناء الإيمان بوصفها أكمل صورة من صور العبادة .

قال : { الصلاة خير موضوع , فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر .

وسائل مُعينة للخشوع فى الصلاة :

1- حضور القلب :

وسببه الهمة , فإن قلبك تابع لهمتك , فلا يحضر إلا فيما يهمك , ومهما أهمك أمر , حضر القلب فيه شاء أم أبى , فهو مجبول على ذلك ومسخر فيه , فلا حيلة ولا علاج لإحضار القلب إلا بصرف الهمة إلى الصلاة , والهمة لا تنصرف إليها ما لم يتبين أن الغرض المطلوب منوط بها , وذلك هو الإيمان والتصديق بأن الآخرة خير وأبقى , وأن الصلاة وسيلة إليها , فإذا أضيف إلى هذا حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهماتها , حصل من مجموعها حضور القلب فى الصلاة , وبمثل هذه العلة يحضر قلبك إذا حضرت بين يدى الله بعض الأكابر , ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك , فإذا كان لا يحضر عند المناجاة مع ملك الملوك , الذى بيده الملك والملكوت , فلا تظن أ، له سبباً سوى ضعف الإيمان .

2- التفهم :

فهو اشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ , وهذا مقام يتفاوت الناس فيه , إذ ليس يشترك الناس فى تفهم المعانى للقرآن والتسبيحات , وكم من معان لطيفة يفهما المصلى فى أثناء الصلاة , ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قلبه , فيقبل الإنسان على الفكر فى المعانى , ويتشمر لدفع الخواطر .

3- التعظيم :

وهو يتولد من : معرفة جلالة الله عز وجل وعظمته ومعرفة حقارة النفس وخستها , وكونها عبداً مربوباً مسخراً من المعرفتين : الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه .

4- الهيبة :

وهى خوف مصدره الإجلال والتعظيم , وتتولد من المعرفة بقدرة الله ونفوذ مشيئته .

5- الرجاء :

وسببه معرفة لطف الله عز وجل , وكرمه وعميم إنعامه , ولطائف صنعه , ومعرفة صدقه فى وعده بالجنة بالصلاة .

6- الحياء :

فيكون باستشعاره التقصير فى العبادة , وعمله بالعجز عن القيام بعظيم حق الله عز وجل , ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها , وقلة إخلاصها وخبث دخلتها , وميلها إلى الحظ العاجل , مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله عز وجل , وأنه مطلع على السر وخطرات القلب .

وبقدر الإيمان واليقين بهذه المعانى يخشع القلب .

{ 17 } النوافل

1- عن أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان – رضى الله عنهما – قالت : سمعت رسول الله يقول : { ما من عبد مسلم يُصلى لله تعالى فى كل يوم ثنتى عشر ركعة تطوعاً غير فريضة إلا بنى الله تعالى له بيتاً فى الجنة , أو إلا بُنى له بيت فى الجنة } .

2- وعن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال : { صليتُ مع رسول الله ركعتين قبل الظهر , وركعتين بعدها , وركعتين بعد الجمعة , وركعتين بعد المغرب , وركعتين بعد العشاء } .

3- وسئلت عائشة – رضى الله عنها – عن صلاة النبى من التطوع فقالت : { كان يصلى فى بيتى قبل الظهر أربعاً , ثم يخرج فيصلى بالناس , ثم يدخل فيصلى ركعتين , ويصلى بالناس المغرب , ثم يدخل ليصلى ركعتين , ثم يصلى بالناس العشاء , ثم يدخل بيتى فيصلى ركعتين , وكان يصلى من الليل تسع ركعات فيهن الوتر , وكان يصلى ليلاً طويلاً قائماً وليلاً طويلاً قاعداً , فكان إذا قرأ وهو قائم ركع وسجد وهو قائم , وإذا قرأ وهو قاعد ركع وسجد وهو قاعد , وكان إذا طلع الفجر صلى ركعتين , ثم يخرج فيصلى بالناس صلاة صلاة الفجر } .

4- قالت عائشة – رضى الله عنها – { لم يكن النبى على شئ من النوافل أشد تعاهداً منه على ركعتى الفجر } .

5- وعن أم حبيبة – رضى الله عنها – قالت : قال رسول الله : { من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر , وأربع بعدها , حرمه الله على النار } .

6- وعن ابن عمر – رضى الله عنهما – عن النبى قال : {رحم الله امرءاً صلى قبل العصر أربعاً}

7- عن ابن عمر – رضى الله عنهما – عن النبى قال : { اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً } .

8- وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى قال : { أوتروا قبل أن تصبحوا } .

9- وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله { من خاف أن لا يقوم من آخر الليل , فليوتر أوله , ومن طمع أن يقوم آخره , فليوتر آخر الليل , فإن صلاة آخر الليل مشهودة , وذلك أفضل }

10- عن أبى ذر قال : قال رسول الله : { يُصبح على كل سُلامى من أحدكم صدقة , فكل تسبيحة صدقة , وكل تحميدة صدقة , وكل تهليلة صدقة , وكل تكبيرة صدقة , وأمر بالمعروف صدقة , ونهى عن المنكر صدقة , ويجزى من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى } .

11- قال رسول الله : { عن الله تبارك وتعالى أنه قال : يا ابن آدم اركع لى أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره } .

12- وقال : { فى الإنسان ثلثمائة وستون مفصلاً , فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منه بصدقة , قالوا : ومن يُطيق يا نبى الله ؟ قال : النخاعة فى المسجد تدفنها , والشئ تُنحية عن الطريق , فإن لم تجد فركعتا الضحى تُجزئك } .

{ 18 } قيام الليل

قال تعالى : { ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً } .

وقال تعالى : { تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون } .

وقال تعالى : { كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون } .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله : { رحم الله رجلاً قام من الليل , فصلى وأيقظ امرأته , فإن أبت نضح فى وجهها الماء , رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت , وأيقظت زوجها فإن أبى نضجت فى وجهه الماء } .

وعنه قال : قال رسول الله : { إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا أو صلى ركعتين جميعاً , كُتب فى الذاكرين والذاكرات } .

كم قد صفت لقلوب القوم أوقاتُ   وكم تقضت لهم بالليل لذات

والليل دسكرة العُشاق يجمعُهُم   ذكر الحبيب وصرفُ الدمع كاساتُ

ماتوا فأحياهُم إحياءُ ليلهم   ومن سواهم أناس بالكرى ماتوا

لما تجلى لهم والحُجبُ قد رفُعت تهتكوا وصبت منهم صباباتُ

وغيبهُم عن الأكوان فى حُجُب وأظهرت سر معناهُم إشاراتُ

ساقى القلوب هو المحبوب يشهدُهُ صب لهم بقيام الليل عاداتُ

إذا صفا الوقتُ خافوا من تكدره وللوصول من الهجران آفاتُ

قيام الليل لذة المتلذذين , روضة المحبين , وسمر السامرين , والله لقد خاب من تركه ونام , ويكفيه تنزل الرحمن فى هذه الساعات , فأين المشمرين العابدون ؟! , وهذه أحوال سلفنا – رحمهم الله - .

صلة بين أشيم العدوي , لما زُفت إليه معاذة العدوية , أدخله ابن أخيه الحمام , ثم أدخله بيتاً مطيباً , فقام يصلى حتى أصبح , وفعلت معاذة كذلك , فلما أصبح عاتبه ابن أخيه على فعله , فقال له : إنك أدخلتنى بيتاً أذكرتنى به النار , ثم أدخلتنى بيتاً أذكرتنى به الجنة , فمازالت فكرتى فيهما حتى أصبحتُ .

فهذا رجل وامرأته يقومان الليل كله ليلة عرسهما .

قالت عنه زوجته المتهجدة العابدة معاذة : ما كان صلة يجئ من مسجد بيته إلى فراشه إلا حبواً , ويقوم حتى يفتر , فيما يجئ إلى فراشه إلا حبواً .

وكانت امرأته – رحمها الله – إذا جاء الليل قالت : هذه ليلتى التى أموت فيها ؛ فلا تنام حتى تصبح , وإذا جاء البرد لبست الرقاق , حتى يمنعها من النوم .

وكانت رحمها الله تُحيى الليل صلاة , فإذا غلبها النوم قامت فجالت فى الدار وهى تقول : يانفس النوم أمامك , لوقد مت لطالت رقدتك فى القبور على حسرة أو مسرور .

وكانت تقول : عجبتُ لعين تنام , وقد عرفت طول الرماد فى ظلم القبور .

قال رجاء بن مسلم العبدى : كنا نكون عند عجردة العمية فى الدار , فكانت تحيى الليل صلاة , وربما قالت : تقوم من أول الليل إلى السحر , فإذا كان السحر نادت بصوت لها محزون : إليك قطع العابدون دُجى الليل بتكبير الدلج إلى ظلم الأسحار , يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك , فبك إلهى لا بغيرك أسألك أن تجعلنى من أول زمرة السابقين إليك , وأن ترفعنى إليك فى درجة المقربين , وأن تلحقنى بعبادك الصالحين , فأنت أكرم الكرماء , وأرحم الرحماء , وأعظم العظماء , ثم تخر ساجدة فلا تزال تبكى وتدعو فى سجودها حتى يطلع الفجر , فكان ذلك دأبها ثلاثين سنة .

قال عبد الله المكى : كانت حبيبة العدوية إذا صلت العتمة , قامت على سطح فشدت عليها درعها وخمارها فقالت : إلهى , غارت النجوم , ونامت العيون , وغلقت الملوك أبوابها , وبابك مفتوح , وخلا كل حبيب بحبيبه , وهذا مقامى بين يديك , ثم تُقبل على صلاتها , فإذا كان السحر قالت : اللهم وهذا الليل قد أدبر , وهذا النهار قد أسفر , فليت شعرى هل قبلت منى ليلتى فأهنى , أم رددتها على فأعزى , فوعزتك لهذا دأبى ودأبك أبداً ما أبقيتنى وعزتك لو انتهرتنى ما برحت عن بابك , ولا وقع فى قلبى غير جُودك وكرمك .

وهذه غفيرة العابدة , قيل لها : إنك لا تنامين بالليل , فبكت وقالت : ربما اشتهيت أن أنام فلا أقدر عليه , وكيف ينام أو يقدر على النوم من لا ينام عنه حافظاه ليلاً ولا نهاراً .

هؤلاء النساء ... !! .

ولو أن النساء كما ذكرنا لفُظت النساءُ على الرجال

{ 19 } الصيام

الصوم عبادة السادات , وعبادة السادات ساداتُ العبادات , وأحلى أعطيات الصوم وأغلى معانيه الإخلاص , والإخلاص تجرد وخلاص .

والصوم هو العبادة الوحيدة التى خُصت بالنسبة إلى الله { إلا الصيام فإنه لى } .

والغاية القصوى من الصوم : إعداد القلوب للتقوى والشفافية والحساسية والخشية من الله تعالى

{ يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون } .

والصوم إعداد للأمة التى فُرض عليها الجهاد فى سبيل الله , لتقرير منهجه فى الأرض , لتستعلى على ضرورات الجسد كلها , ولتحتمل مشقات الطريق المغروس بالعقبات والأشواك , والذى تتناثر على جوانبه الرغبات والشهوات , والذى تهتف بالسالكيه الاف المُغريات .

والصوم أعظم مُرب للإرادة , وكابح لجماح الأهواء , وأعظم آثار الصوم شأناً , وأنصعها برهاناً , وأعلاها خطراً , ما يتركه فى نفس العبد من مراقبة لمولاه .

والصائمون هم السائحون , فلله ما أحلاها سياحة .

والصوم رفعة للدرجات ما بعدها رفعة , قال تعالى: { قُل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يُوفى الصابرون أجرهم بغير حساب } , والصابرون : الصائمون فى أكثر الأقوال .

والصوم كفارة للخطيئات , قال : { فتنة الرجل فى أهله وماله ونفسه وولده وجاره يُكفرها الصيام , والصلاة والصدقة , والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر } ويكفى الصائم تشريفاً الله والملائكة له بالصلاة عليه , قال : { إن الله وملائكته يصلون على النبى } .

فأكرم بها من عبادة يصلى الله عليك بها والملأ الأعلى , والصوم جنة من النار , قال : { من صام يوماً فى سبيل الله باعد الله منه جهنم مسيرة مائة عام } .

والصوم فى الصيف يورث السقيا من العطش , والصوم فى الشتاء الغنيمة الباردة , وباب الريان لا يدخله إلا الصائمون , فإذا دخل آخرهم أُغلق , لا يدخل فيه أحد غيرهم من دخل شرب , ومن شرب لا يمظأ أبداً .

والصوم سبيل إلى الجنات , قال : { من ختم له بصيام يوم دخل الجنة } .

قال تعالى : { كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية } , قال مجاهد وغيره : نزلت فى الصائمين . والصوم يشفع لصاحبه يوم القيامة .

ودعوة الصائم لا تُرد .

وخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك .

والصوم قطع لأسباب التعبد لغير الله , فالهوى معبود , والدينار والدرهم والقطيفة والحميصة والطعام والشراب .

والصوم شكر للمنعم عالم الخفيات , وتحريضُ على المثوبات , وتكثير للصدقات , وإحسان إلى ذوى الحاجات .

والصوم رقة للقلب وصيانة للجوارح .

عن عبد الرحمن بن القاسم : أن عائشة كانت تصوم الدهر , وعن عروة : أن عائشة رضى الله عنها كانت تسرد الصوم , وعن القاسم أنها كانت تصوم الدهر , لا تفطر , إلا يوم أضحى , أو يوم فطر .

قال عروة : بعث معاوية مرة إلى عائشة بمائة ألف درهم , فقسمتها , لم تترك منها شيئاً , فقالت : بريرة : أنت صائمة , فهلا ابتعت لنا منها بدرهم لحماً , قالت : لو ذكرتنى لفعلت .

قال عبد الكريم بن معاوية : ذُكر لى عن حفصة بن سيرين أنها كانت تقرأ نصف القرآن فى كل ليلة , وكانت تصوم الدهر وتفطر العيدين وأيام التشريق .

{ 20 } الزكاة والصدقة

قال تعالى : { وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين } .

وقال تعالى : { وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة } .

وقال تعالى : {خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتذكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم}

قد فرض الله على المؤمنين ذوى الأموال الزكوية زكاة تدفع للمحتاجين منهم , وللمصالح العامة النفع كما قال تعالى : { إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم } .

وللزكاة والصدقة فوائد :

فمنها أنها من أعظم شعائر الدين وأكبر براهين الإيمان , ومنها أنها تزكى وتنمى المعطى والمعطى والمال الذى أخرجت منه , أما تزكيتها للمعطى فإنها تزكى أخلاقه وتطهره من الشح والبخل والأخلاق الرذيلة , وتنمى أخلاقه فيتصف بأوصاف الكرماء المحسنين الشاكرين فإنها من أعظم الشكر لله , والشكر معه المزيد دائماً , وتنمى أيضاً أجره وثوابه , فإن الزكاة والنفقة تضاعف أضعافاً كثيرة بحسب إيمان صاحبها وإخلاصه ونفعها ووقوعها موقعها , وهى تشرح الصدر وتفرح النفس وتدفع عن العبد من البلايا والأسقام شيئاً كثيراً , فكم جلبت من نعمة دينية ودنيوية , وكم دفعت من نقم ومكاره وأسقام , وكم خففت الآلام , وكم أزالت من عداوات وجلبت مودة وصدقات , وكم تسببت لأدعية مستجابة من قلوب صادقات .

وهى أيضاً تنمى المال المخرج منه , فإنها تقيه الآفات وتحل فيه البركة الإلهية .

قال : { ما نقصت صدقة من مال } , بل تزيد , وقال تعالى : { قل إن ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين } .

وفى الصحيحين عنه أنه قال : { ما من صباح يوم إلا وينزل ملكان يقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً , ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً } , والتجربة تشهد بذلك فلا تكاد تجد مؤمناً يخرج الزكاة وينفق النفقات فى محلها إلا وقد صب الله عليه الرزق صباً , وأنزل له البركة ويسر له أسباب الرزق .

وأما نفعها للمعطى فإن الله قد أمر بدفعها للمحتاجين من الفقراء والمساكين والغارمين وفى الرقاب , وللمصالح التى يحتاج المسلمون إليها , فمتى وضعت فى محلها اندفعت الحاجات والضرورات استغنى الفقراء أو خف فقرهم , وقامت المصالح النافعة العمومية , فأى فائدة أعظم من ذلك وأجل , فلو أن الأغنياء أخرجوا زكاة أموالهم ووضعت فى محلها لقامت المصالح الدينية والدنيوية , وزالت الضرورات واندفعت شرور الفقراء وكان ذلك أعظم حاجز وسد يمنع عبث المفسدين , ولهذ1 كانت الزكاة من

أعظم محاسن الإسلام لما اشتملت عليه من جلب المصالح والمنافع ودفع المضار .

{ 21 } الغيبة

قال تعالى : { يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم } .

يعنى : إن كرهتهم أكل لحم الإنسان الميت طبعاً , فاكروه شرعاً , فإن عقوبته أشد .

قال ابن عباس – رضى الله عنهما - : إنما ضرب الله هذا المثل للغيبة , لأن أكل لحم الميت حرام مستقذر , وكذا الغيبة حرام فى الدين وقبيح فى النفوس .

وقال قتادة : كما يمتنع أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً , كذلك يجب أن يمتنع من غيبته حياً .

واستعمل أكل اللحم الميت مكان الغيبة , لأن عاد العرب بذلك جارية , قال الشاعر :

فإن أكلوا لحمى وفرت لحومهم وإن هدموا مجدى بنيتُ لهم مجداً

تعريف الغيبة :

وبين حد الغيبة المحرمة , فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى قال : (هل تدرون ما الغيبة ؟) , قالوا : الله ورسوله أعلم , قال : ذكر أخاك بما يكره , قيل أرأيت إن كان فى أخى ما أقول ؟ , قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه بهته .

وعن المطلب بن عبد الله مرسلاً : (أن رجل سأل رسول الله : ما الغيبة ؟) فقال رسول الله : أن تذكر من المرء ما يكره أن يسمع .

قال النووى : الغيبة ذكر المرء بما يكره سواء كان ذلك فى بدن الشخص , أو دينه , أو دنياه , أو نفسه , أوخلقه , أو خُلُقه , أو ماله , أو ولده , أو زوجه , أو خادمه , أو ثوبه , أو حركته , أو طلاقته , أو عبوسته , أو غير ذلك مما يتعلق به , سواء ذكرته باللفظ أو بالإشارة أو الرمز أ هـ .

حكم الغيبة والتحذير منها :

قال الإمام القرطبى – رحمه الله – لا خلاف أن الغيبة من الكبائر , وأن من اغتاب أحداً عليه أن يتوب إلى الله عز وجل أ هـ .

وعن جابر رضى الله عنه قال : كنا عند النبى فهبت ريح منتنة فقال رسول الله :أتدرون ما هذا الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : (قلت للنبى : حسبك من صفية كذا وكذا – قال بعض الرواة : أنها تعنى أنها قصيرة – فقال : لقد قلت كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله : لما عُرج بى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم , فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم .

مستمع الغيبة والمغتاب شريكان فى الإثم :

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كانت العرب يخدم بعضهم بعضاً فى الأسفار , وكان مع أبى كبر وعمر رجل يخدمهما , فاستيقظا ولم يهيئ لهما طعاماً , فقال أحدهما لصاحبه : إن هذا ليوائم نوم بيتكم فأيقظاه , فقالا : ائت رسول الله فقل له : إن أبا بكر وعمر يقرئانك السلام , وهما يستأدمانك , فقال : قد ائتدما , ففزعا , فجاء إلى النبى فقالا : يا رسول الله بعثنا إليك نستأدمك , فقلت : قد ائتدما , فبأى شئ ائتدمنا ؟ قال : بلحم أخيكما , والذى نفسى بيده إنى لأرى لحمه من أنيابكما , وفى رواية (ثناياكما) , قالا : فاستغفر لنا , قال : هو فليستغفر لكما .

والشاهد فى قوله : (قد ائتدما) , وقوله : (من أنيابكما) مع أن القائل أحدهما , ولكن الآخر سكت , وأقر ولم ينكر عليه .

قال النووى : اعلم أن الغيبة – كما يحرم على المغتاب ذكرها – يحرم على السامع استماعُها وإقرارها , فيجب على من سمع إنساناً يبتدئ بغيبة محرمة أن ينهاه إن لم يخف ضرراً ظاهراً , فإن خافه وجب عليه الإنكار بقلبه , ومفارقة ذلك المجلس إن تمكن من مفارقته , فإن قدر على الإنكار بلسانه , أو على قطع الغيبة بكلام آخر , لزمه ذلك , فإن لم يفعل عصى , فإن قال بلسانه : (اسكت) وهو يشتهى بقلبه واستمراره , فقال أبو حامد الغزالى : ذلك نفاق لا يخرجه عن الإثم , ولا بد من كراهته بقلبه أ هـ .

{ 22 } النميمة

يقول سبحانه { ولا تُطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم } ,

تذكران هاتان الآيات بعض صفات الكافرين الذين منعهم كبرهم وعنادهم وغرورهم بأموالهم وأولادهم عن سماع كلمة الحق والإيمان برسالات الله لهداية البشر , ومن ضمن هذه الصفات المشى بالنميمة , وكأن هذه الصفات حلقات فى سلسلة واحدة يأخذ بعضها ببعض , أو يسلم بعضها إلى البعض الآخر , ما دام المنبع واحداً والهدف كذلك واحد .

والنميمة فى عرف الدين هل نقل قول إنسان إلى من قيل فيه بقصد إفساد , وهذا القصد هو الذى أعطى النقل حكم التحريم , فإن نقل الأقوال بغير هذا القصد لا ضرر فيه , فكثير من المعاملات قائم عليه , والإمام الغزالى فى كتابه (إحياء علوم الدين) بعد أن حلل معنى النميمة والدافع إليها قال : الأصح أنها كشف ما يكره كشفه , سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه , أو كرهه طرف ثالث , وسواء أكان ذلك بالقول أم بالكتابة أم بالرمز والإيماء .

والنميمة من أخطر الرذائل الاجتماعية , ولا يدنس نفسه بها إلا الفضوليون والوصوليون والأدنياء من الناس , فالرجل الشريف الكريم يأنف أن يلوث نفسه بهذه السعاية الدنيئة , وقد ورد فى الحديث (إن الله يحب معالى الأخلاق ويكره سفساقها) .

والذى يبعث على التورط فيها أمور كثيرة , فقد يراد إلحاق السوء بمن حكى عنه الكلام , وقد يقصد بها التملق , والذلفى لدى من حكى له هذا الكلام , كما تكون النميمة هواية لبعض الساقطين , أو تفكها بالحديث .

وإذا كانت النميمة مذمومة بين شخصين عاديين تورث بغضاً ونفوراً وشقاقاً فى حيز محدود مذمومة , فإن أشد أنواعها ذماً وقبحاً ما يسمى بالسعاية , التى يكون فيها الطرف المنقول إليه ذا سطوة أو لسان , يقصد النمام أن يتقرب إليه أو يوقع أذى شديداً بمن نقل عنه الكلام .

ورذيلة النميمة تجر معها رذائل , وبخاصة عند من يحترفونها , ففيها تجسس على الناس وتلمس لعيوب البرآء , ويلازمها الكذب والتزيد والتلفيق والحسد والنفاق والتملق وحب الدنيا , وينتج عنها ترويع الآمنين وإفساد ذات البين , وهى تحلق الدين وتأتى على الأخلاق الكريمة التى ينبغى أن يتصف بها المؤمنون الصادقون .

وقد نبه الرسول الكريم ﷺ إلى أن بعض الناس يهون أمرها فيستبيحها ويمارسها غير شاعر بآثارها السيئة وعاقبتها الوخيمة , فيقول عندما مر على قبرين يعذبان : (إنهما يعذبان , وما يعذبان فى كبير , بلى إنه كبير , أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله) , أى لا يتنزه منه كما جاء فى بعض الروايات , وهو شأن من يتهاون فى أمور النجاسة , وكلا الشخصين الواردين فى الحديث يجمعهما عدم المبالاة بما يقع منهما , فهو فى نظرهما شئ بسيط , ولكن الرسول ﷺ يبين أنه كبير وخطير يستوجب العقاب الأليم , بل إنه ﷺ قال : (لا يدخل الجنة نمام) , وقد فسر هذا القول بأنه إن كان يستحيل النميمة ولا يعدها محرمة فهو كافر, والكافر لا يدخل الجنة , وإن كان يعتقد أنها محرومة ولكنه يستهين بخطورتها فإنه لا يدخل الجنة مع السابقين , بل يمكث فى النار مدة تتناسب مع ما ارتكبه من إثم ثم بعد ذلك إن شاء الله أخرجه منها وأدخله الجنة .

ولبعض العلماء تحليل لطيف للسر فى عدم دخول النمام الجنة , وهو أن الجنة كما قال الله فى أصحابها { ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين } , فتمام الصفاء موجود بينهم , صفاء فى الباطن بنزع الغل وصفاء فى الظاهر بالتقابل وعدم التدابر , وهم أخوة على السرر ينعمون بفضل الله فكيف يعيش النمام بين الأخوة المتحابين الأصفياء . وقد كان عيشه فى الدنيا على التفريق وإثارة الأحقاد , إن له جواً آخر يناسبه بعيداً عن جو الجنة الصافى ونعيمها المقيم .

{ 23 } صيام التطوع بإذن الزوج

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله قال : (لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بأذنه , ولا تأذن فى بيته , إلا بإذنه) .

{ 24 } المسارعة بالحج

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله قال : (يقول الله عز وجل : إن عبد صححتُ له جسمهُ , ووسعتُ عليه فى المعيشة , تمضى عليه خمسة أعوام لا يفد إلى لمحروم)

{ 25 } سؤال الطلاق بغير حق

عن ثوبان رضى الله عنه عن النبى قال : (أيما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير بأس , فحرام عليها رائحةُ الجنة) .

{ 26 } العطر خارج المنزل

عن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى قال : (كُل عين زانية , والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس كذا وكذا , يعنى زانية) .

{ 27 } الأسرار الزوجية

عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله : (إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة : الرجُل يُفضى إلى امرأته وتُفضى إليه , ثم ينشُرُ أحدُهُما سر صاحبه) .

{ 28 } التشبه بالرجال

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : (لعن رسول الله الرجُل يلبس لبس المرأة , والمرأة تلبسُ لبسة الرجل) .

{ 29 } هؤلاء ملعونات

عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : (لعن رسول الله الواشمات , والمُستوشمات والمُتنمصات , والمُتفلجات للحُسن , والمُغيرات غير الله) .

{ 30 } استعمال أوانى الذهب أو الفضة

عن أم سلمة – رضى الله عنها – أن رسول الله قال : (الذى يشرب فى آنية الفضة إنما يُجرجرُ فى بطنه نار جهنم) .

{ 31 } شهادة الزور

عن أبى بكرة رضي الله عنه قال : كُنا عند رسول الله فقال : (ألا أُنبئكم بأكبر الكبائر – ثلاثاً – الإشراك بالله , وعقوق الوالدين , ألا وشهادة الزور , وقول الزور) .

{ 32 } الإتيان فى الدبر

عن ابن عباس – رضى الله عنهما – أن رسول الله قال : (لا ينظر الله عز وجل إلى رجل أتى رجُلاً أو امرأة فى دُبُرها) .

{ 33 } إياك واللعن

عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله : (إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنةُ إلى السماء , فتُغلقُ أبواب السماء دُونها , ثم تهبطُ إلى الأرض , فتُغلقُ أبوابُها دُونها , ثم تأخذ يميناً وشمالاً , فإن لم تجد مساغاً رجعت إلى الذى لُعن , فإن كان أهلاً , وإلا رجعت إلى قائلها) .

{ 34 } سلامة الصدر للمسلمين

عن عبد الله بن عمرو – رضى الله عنهما – قال : قيل : يارسول الله أى الناس أفضلُ ؟ قال : (كُل مخمُوم القلب صدوق اللسان) , قالوا : صدوق اللسان نعرفُهُ , فما مخموم القلب ؟ , قال : (هو التقى النقى لا إثم فيه ولا بغى , ولا غل ولا حسد) .

{ 35 } الحلف بغير الله

عن ابن عمر رضى الله عنه أنه سمع رجلاً يقول : ولا والكعبة , فقال ابن عمر : لا يُحلفُ بغير الله , فإنى سمعتُ رسول يقول : (من حلف بغير الله فقد كفر أو شرك) .

وعن بُريدة رضى الله عنه أن رسول الله قال : (من حلف بالأمانة فليس منا) .

{ 36 } السحر والكهانة

عن صفية بنت أبى عُبيد عن بعض أزواج النبى , عن النبى قال : (من أتى عرافاً فسألهُ عن شئ فصدقهُ , لم تُقبل له صلاةُ أربعين يوماً) .

وعن عمران بن حُصين رضي الله عنه قال : قال : رسول الله : (ليس منا من تطير , أو تُطير له , أو تكهن , أو تُكهن له , أو سحر أو سُحر له , ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد) .

{ 37 } السفر بدون محرم

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله : (لا يحلُ لامرأة تُؤمن بالله واليوم الآخر أن تُسافر سفراً يكونُ ثلاثة أيام فصاعداً إلا ومعها أبوها , أو أخوها , أو زوجها , أو ابنُها , أو ذو محرم منها) .

{ 38 } النياحة على الميت

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله : (ليس منا من ضرب الخدود و وشق الجُيوب , ودعا بدعوى الجاهلية) .

عن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله : (أربع فى أُمتى من أمر الجاهلية لا يتركُونهُن , الفخرُ فى الأحساب , والطعن فى الأنساب , والاستسقاء بالنجوم , والنياحةُ) : قال : (النائحة إذا لم تتب قبل موتها تُقامُ يوم القيامة وعليها سربال من قطران , ودرع من جرب) .

{ 39 } الإحداد على الزواج

عن زينب بنت جحش – رضى الله عنها – قالت : إني سمعتُ رسول الله يقول على المنبر : (لا يحلُ لامرأة تُؤمن بالله واليوم الآخر أن تُحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً) .

{ 40 } زيارة القبور

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله (لعن زوارات القبور) .

{ 41 } وصف محاسن المرأة

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله : (لا تُباشر المرأةُ المرأة فتصفها لزوجها كأنهُ ينظُر إليها) .

{ 42 } رأيتكن أكثر أهل النار

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال النبى : (يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإنى رأيتُكُن أكثر أهل النار , فقالت امرأة منهن : ومالنا يارسول الله أكثر أهل النار؟ قال : تُكثرن اللعن وتكفرن العشير , وما رأيتُ من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لُب منكن , قالت : ما نقصان العقل والدين ؟ قال : أما نُقصان العقل فشهادة امرأتين تعدلُ شهادة رجل , وفهذا نقص العمل , وتمكثُ الليالى ما تصلى وتُفطر فى رمضان فهذا نُقصان الدين) .

{ 43 } ركعتان بعد الوضوء

عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : قال رسول الله : (ما من أحد يتوضأ فيُحسنُ الوضُوء , ويُصلى ركعتين يُقبل بقلبه ووجهه عليهما , إلا وجبت لهُ الجنةُ) .

{ 44 } إجابة المؤذن

عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : (من قال حين يسمعُ المؤذن : وأنا أشهدُ أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له وأن محمداً عبده ورسُولهُ , رضيتُ بالله رباً والإسلام ديناً ومحمد ﷺ رسولاً . غفر الله له ذنبه) .

{ 45 } الدعاء بعد الأذان

عن جابر بن عبد الله – رضى الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال : (من قال حين يسمعُ النداء : اللهُم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيامة) .

{ 46 } فضل سورة الكهف

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : (من قرأ سورة الكهف فى يوم الجُمُعة أضاء له من النور ما بين الجُمعتين) .

تم الكتاب بحمد الله تعالى , وعلى الله قصد السبيل .

الفهرس